رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

حضور المؤسسات الإسلامية والعلماء

إعداد

الدكتور الصادق بخيت الفكي

سفير السودان في الأردن

مقدم إلى

مؤتمر مكة المكرمة السادس عشر

الشباب المسلم والإعلام الجديد

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

مكة المكرمة

٣ - ٤ / ذو الحجة / ١٤٣٦ هـ، الموافق ١٦ - ١٧ / سبتمبر / ٢٠١٥ م

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ – الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ – ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة – مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب: (٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠) :whatsApp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

مَرَّ أكثر من عِقدين من الزمان منذ أن اعتمد العالمُ الشبكة العنكبوتية «الإنترنت»، وغيرت وسائل الإعلام الجديد طبيعة وأساليب التواصل بين الناس، إلا أن العديد من المؤسسات الإسلامية لا تزال تبحث عن كيفية التأقلم مع آثارها؛ إنها تُشكل تحدياً جدياً للطرق التقليدية الناظمة للعلاقات، في حين أنها توفر فرصاً متعاظمة للدعوة والبلاغ، باعتبارها منصات انطلاق رائعة للوصول إلى كل الناس، وأصبحت جزءاً من روتين التعلم وتَلقِّي المعرفة والأخبار، والتأثير على الرأي العام، ولكن مع تطور الشبكة في اتجاهات غير متوقعة في بعض الأحيان، فإنها تُثير مجموعة من التساؤلات حول مرجعية الممارسات ومحددات القيم، وبعضها يذهب إلى تحديد الأساسات المعلنة للمواضعات الأخلاقية والثوابت العقدية الدينية، وتعرض البيئة الإعلامية الجديدة مع أجنداتها التفاعلية والتشاركية الإضافية ووسائطها المتعددة، مع وجود مجال جديد للمدونين والصحفيين لعرض مجموعة من القضايا والفرص التي تتجاوز الحدود المألوفة، ولكنها تُظْهِر في الوقت نفسه بعض التوترات بين الطرق «التقليدية»، والمتجذرة في وسائل الإعلام «القديمة»، والتصورات الجديدة، والتوقعات والضغوط من الرسائل الرقمية في نظام

وسائل إعلام جديدة متشابكة ومتدامجة على نحو متزايد[١].

لقد شكلت وسائل الإعلام الجديدة بعض صور الثقافة الحديثة، من خلال التأثير على الطريقة التي يتصرف بها الناس، في التواصل، والتعلم، وتصور أنفسهم وعالمهم،وأصبح التأثير الثقافي لوسائل الإعلام الجديدة موضوعاً رئيسياً للدراسات الأكاديمية، ويَعتبرها عدد متزايد من الدارسين حدثاً بالغ الأهمية، ومِعيارياً لتقييم الخير والشر والإيجاب والسوء للجوانب والآثار المترتبة على الثقافة، فقد أصبحت هذه الآثار أيضاً موضوعاً ساخناً في المناقشات الشعبية التي يتم فيها انتقاد وسائل الإعلام الجديدة- كالإنترنت، وألعاب الفيديو، والهواتف المحمولة- لآثارها على العلاقات الاجتماعية، والقيم، والمؤسسات، والحياة اليومية، وللأسف، فإن الكثير من المناقشات القائمة بما فيها العلمية، غالباً ما تكون ضحلة، تتركز مهمتها في تعيين تسميات مثل «جيدة»، «سيئة»، «ضارة» أو «مفيدة»، مع القليل من الحجة أو البرهان، وتستعطف قياسات مادية للقيم المجردة لا تقدم أو تؤخر، ولا يمكن الدفاع عنها، إذ يَصعب أن يتم إجراء تقييم شامل لثقافة وسائل الإعلام الجديدة بسبب تفرُّد العديد من آثارها، وحداثة المفردات المعيارية القائمة، بما فيها تلك المعنية بالأخلاق والمنهج ونظرية المعرفة، التي تحاول توصيفَ الواقع الجديد، والتي يبدو أن نتاجها العلمي أقل من المتوقع.

ففي كثير من الحواضر الإسلامية اليوم؛ تتشكل حياتنا اليومية من خلال تقنيات الوسائط الرقمية، كالبطاقات والهواتف الذكية، وكاميرات المراقبة، والأنظمة شبه الذكية، ووسائل الإعلام الاجتماعية، والخدمات الإلكترونية،

(1) http: //www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/17512780802281081#abstract

والشبكات اللاسلكية، وغيرها، وترتبط هذه التقنيات ارتباطاً لا ينفصم مع الشكل المادي للحياة المدنية الحضرية، والأنماط الاجتماعية، والخبرات العقلية للناس، ونتيجة لذلك، أصبحت حياتنا مزيجاً من المادية والرقمية، وقد لا يبدو هذا الوصف مُتحقِقَاً تماماً في كل عالمنا الإسلامي، مثلما يبدو أكثر وضوحاً في الجزء الشمالي من العالم (أوروبا وأمريكا)؛ رغم أن في البلدان الإسلامية الناهضة اقتصادياً- كإندونيسيا وماليزيا ودول الخليج العربي وغيرها- أصبحت الهواتف النقالة، والشبكات اللاسلكية، وكاميرات الدوائر التلفزيونية المغلقة، السمة الغالبة للحياة الحضرية[1]، فماذا يعني هذا للحياة والثقافة الإسلامية؟ وما هي الآثار المترتبة على المجتمع من الإعلام الجديد، وضرورات ترشيده لتحقيق الانضباط الأخلاقي، الذي - حتى الآن - يَكِل الناسُ أمره للمؤسسات الإسلامية المعنية وأدوار العلماء؟

إن التساؤلات حول دور تكنولوجيا الوسائط الرقمية في تشكيل العلاقات داخل النسيج الاجتماعي وبِنية الحياة الثقافية؛ أكثر إلحاحاً في سياق التحديات التي يفرضها التقدم والتوسع السريع في أنماط الإعلام الجديد، وهي تحديات عالمية تتصل بشكل خاص بالمجالات الاجتماعية والثقافية والدينية، وتُحدث تحولات في العلاقة بين الأجيال، وخلخلة في معارف المجتمعات، وتدفعها إلى مواجهة مشكلات معقدة بالغة الخطورة، مما يوجب على المؤسسات الإسلامية والعلماء والمثقفين والمواطنين الواعين؛ مراجعةَ مواقفهم من وسائل الإعلام الجديدة، وتأكيد حضورهم فيها، وإعادة النظر في أدوارهم في

(١) (كاستلز، وآخرون، ٢٠٠٤؛. تشيو، ٢٠٠٧، ٢٠٠٩؛ دي لانج، ٢٠١٠).
http: //religionfactor.net/2013/03/13/religious-authority-and-new-media-culture /

صنع الثقافة الحديثة الراشدة[١].

إن الأدوات الرقمية، ومواقع التواصل الاجتماعي، والهاتف المحمول، قد غيرت الطريقة التي نعمل بها، وأساليبَ التواصل بيننا، وربما القيم والأعراف والقوانين التي نلتزم بها حتى الآن. وقد تؤثر على تلك التي لم تعد تُطَبَّق كما كانت فيما مضى، أو ربما تحتاج إلى تعديلات جوهرية، لذا فإن هدف حضور المؤسسات الإسلامية والعلماء؛ ضرورة لازمة لوضع «المعايير والقيم في وسائل الإعلام الرقمية»، ولمساعدة أصحاب المصلحة في المجتمعات المسلمة – الحكومات وصانعي السياسات، والأعمال الخيرية، والمواطنين العاديين – للحصول على فهْمٍ أفضل لتأثير الإجراءات المتخذة في الدول الإسلامية؛ ماذا عملت المؤسسات الإسلامية، وماذا لم تعمل، ولماذا نجحت إجراءاتٌ وشكلت إجراءاتٌ عواقبَ غير مقصودة؟هذه الأسئلة لا تهدف فقط لتقديم إجابات أو توصيات، بل تهدف إلى اقتراح إطار من المبادئ المعرفية لتوجيه النقاش العام، ووضع السياسات في سياق ذي صلة بعالم اليوم المتعولم[٢].

في المنهج:

تزعم هذه الورقة أننا في منعطف حاسم في العلاقة بين كل وسائل الإعلام الحديثة والمؤسسات الإسلامية، على غرار الأيام الأولى من البث الإذاعي والتلفازي، مع دعوة مخلصة أن تُعنى المؤسسات الإسلامية بدراسة الآثار

(1) https: //www.faithandleadership.com/qa/heidi-campbell-the-internet-challenges and-empowers-religious-institutions

(2) Norms and Values in Digital Media, http: //reports.weforum.org/norms-values-digital-media /

المترتبة على استخدامات وسائل الإعلام وسبُل ترشيدها، حفاظًا على مستقبل الشباب المسلم، فالتحولات التكنولوجية لديها القدرة على تغيير مسار الأجيال إذا لم يرافقها تدخل ناظم من العلماء والمؤسسات الإسلامية، وبهذا الفهم فإن النهج النظري المقترح في هذه الورقة؛ يجمع بين نظرية التطور في الاختراع والابتكار، والدعوة لإسهام المؤسسات الإسلامية فيما يستجد من مخترعات وابتكارات، ويُشجع على حضور وظهور العلماء المسلمين الراسخين في العلم في وسائل الإعلام الجديدة، وقيادتهم للمناقشات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والدينية.

وتقترح هذه الورقة تفسيراً لظهور وسائل الإعلام الجديدة، بمعنى أن وسائل الإعلام ليست مجرد نتيجة للاختراعات التقنية، ولكنها تنبع من عملية من مرحلتين تتمثلان في الاختراع أولاً، وما نضفيه عليها نحن من الطابع المؤسسي الاجتماعي ثانيًا؛ إذ إن الاختراع التقني يُحَسِّنْ فقط ما هو موجود من وسائل إعلام قديمة، فعلى سبيل المثال: أدى اختراع (غوتنبرغ) للمطبعة إلى تحسين الكتابة، وحسَّنَت الأفلامُ وسائل الإعلام البصرية القديمة، وحَسَّنَ اللاسلكي أدوات البرق السلكية، وفي المرحلة التالية من الابتكار؛ أصبحت وسائل الإعلام الجديدة - كالصحافة الدورية، والصور المتحركة، والبث الإذاعي والتلفازي- ذات طابع مؤسسي اجتماعي، غيَّر وسائل الإعلام المخترعة بشكل أساس[1]، فالمجتمع يُكرس الاختراعات من خلال اكتشاف إمكانيات جديدة للاتصالات؛ فيتبنى ويُشَكِّل وسائل الإعلام الجديدة، وهي بدورها تُمدد حواسنا، وتختصر الزمان والمكان.

(1) http: //ejc.sagepub.com/content/19/4/483.abstract

فالهدف الأساس من هذا المقترح: وضعُ إطارٍ لتحليل معياري أفضل لثقافة وسائل الإعلام الجديدة، وقيمة حضور العلماء ودور المؤسسات الإسلامية في الترشيد، الذي يركز على آثارها الإيجابية لتعظيم الخير في المجتمع، وتقييم الجودة الثقافية لوسائل الإعلام الجديدة؛ سعياً نحو بناء فلسفة متكاملة للعلاقات الإنسانية الإعلامية، تتأسس على الثقافة الإسلامية، مع الدعوة لاستخدام نتائج البحوث والدراسات، والتي تمت مؤخراً في مجالات دراسات العلوم والتكنولوجيا لتطوير إطار تحليلي للتحقق من الآثار الملائمة للمُثُل الأخلاقية الإسلامية.

الرسالة والوسيلة:

في ثقافتنا العامة، نميل لتجاهل النطاق والفعالية والتكييف الاجتماعي القسري الذي يحدث للمتلقي البسيط حين تَعَرُّضِهِ لوابلٍ من رسائل وسائل الإعلام، وهذه النقطة من المسائل المهمة التي يجب أن نعود إليها من وقت لآخر في كل مستجدات إعلامية.

فعند شيوع استخدامات الإعلام الجديد- ولأكثر من عِقدين من الزمان- ظن المدمنون على وسائل التواصل الاجتماعي والمفتونون بسحرها، أن الدين بسلطته الأخلاقية والتوجيهية قد تَوارَى واختفى، ولكنه الآن يعود كقوة اجتماعية وسياسية واقتصادية كبيرة، ومن خلال ذات الوسائل والوسائط والمواقع، وهذا بفعل حضور المؤسسات الإسلامية والعلماء، وهو أكثر من مجرد ظهور لهذه المؤسسات التقليدية لتستعرض قوتها أو تستعيد أدوارها، إنما يُعبر عن إعادة صياغة كبيرة وجدية لعلاقتها بوسائل الإعلام عامة، وبالإعلام الجديد بخاصة، ويُلزمها باستخدام وسائل الإعلام الجديدة على نحو فعال لبناء علاقات إيجابية مع مجموعات تهتم بالمحتوى الديني للرسالة والوسيلة،

وتَعبر الحدود المقيدة سابقًا، وتتجاهل الولاءات والحساسيات الدينية القديمة في الدعوة والبلاغ.

إن الرسالة مقابل أثر الوسيلة؛ والعشوائية مقابل القيم المبرمجة، ينبغي أن تدفعنا للتمييز بين آثار وسائل الإعلام وآثار الرسالة، فعلى سبيل المثال: عندما ظهر التلفاز، قَلَّتْ أوقاتُ القراءة والنوم، وهذا تأثير الوسيلة، وعندما يشاهد المراهقون برامج مثيرة، أو لمشاهير، ويقلدون ما فيها ويتشبهون بشخوصها، فهذا هو تأثير الرسالة، ولربما تكون حساسيتنا التاريخية لآثار الرسالة؛ أمراً يحتاج لإعادة نظر إذا قُصِد بالتَمَثُّل رموزٌ وطنية أو شخصيات دينية تستحق التقدير والإكبار والإجلال، لأنها قد تكون أهمَّ عامل في تحديد هيكل القيمة المستقبلية لمجتمعنا، وواحداً من ممسكات الوحدة الداخلية لهذا المجتمع، رغم أن هناك عدة أسباب لإهمال القيم التي تبدو عالمية تقريبًا، والتي سبب تأخر آثارها بشكل تام لا لَبْس فيه، لا يرتبط بوسيلة بعينها؛ لأن الآثار غير متلازمة دائمًا، ونحن نميل للاعتقاد بأن الحضور الفاعل في وسائل الإعلام مرادف للحرية المكفولة قانونًا،المصونة في تعاليم ديننا الحنيف.

فالطفل الذي يشاهد القتل على شاشة التلفاز؛ نادراً ما يعمل بما شاهده، ولكن هناك شعور متنامٍ حول ما يمكن أن يحدث لحساسية هذا الطفل للعنف في وقت لاحق من حياته، لذا تسعى السياسة العامة في مجتمعاتنا الإسلامية؛ لاستلهام قيم الدين لتعزيز ما هو جيد وصحيح ومشروع في تربيتنا الاجتماعية، وفي حين تنطوي وسائل الإعلام الجديدة على إمكانية سد احتياجات الشباب في الاتصال الاجتماعي قبل تَمَلُّك القدرة الحقيقية لإدراك ما يحدث حولهم بشكل جيد؛ فإن على المؤسسات الإسلامية أن ترى تقديرهم لإعادة علاج اختلال نُظم المعارف لديهم، التي قد تكون أكثر صعوبة من غرسها في عقولهم منذ البداية.

الثقافة الرقمية والدين:

إن الثقافة الرقمية لم تقم بتغيير الدين، ولا ينبغي لها، وإنما هي انعكاس للتحولات في الحياة الثقافية للمتدينين، فالناس اليوم - وبخاصة الشباب - ينتمون إلى شبكات التواصل الاجتماعي التي لا تقتصر العلاقات فيها على الحدود الدينية التقليدية، ولا العلاقات العائلية المعروفة، أو الجغرافية المقيدة، بل تتعداها إلى محاولة خلق حالة عولمية مستوعِبة للفوارق والاختلافات، وهذا التصور له آثار عميقة على قادة المؤسسات الإسلامية، الذين قد يرون فيه تهديداً أو فرصة تُمهد الطريق الذي يسلكه أفراد مؤسساتهم الآن في محاولاتهم لإحداث التغيير المطلوب، وحتى يكونوا إيجابيين؛ عليهم القيام بثلاثة أمور مهمة، هي:

أولاً: إلقاء نظرة فاحصة على مفهوم «الإعلام الجديد»، الذي صرنا نحتج به في الخطابات العامة، وفي تصميم السياسات حول دور وسائل الإعلام الاجتماعية في مجتمعاتنا، وبهذه الرؤية يُفهم الإعلام الجديد أساسًا على شكل سلسلة من البِنَى التحتية المعرفية، أو التخيلات الذهنية للتقنية المستجِدة، التي يجب أن تُدار بأكبر قدر من الكفاءة، وأن تنشغل بوضع محتواها: المؤسسات الإسلامية، ويقف على دقة هذا المحتوى وصدقيته: العلماءُ وأهل الرأي المؤهلون، ومع ذلك، يُلاحِظ النقاد أن هذه التخيلات التكنولوجية للإعلام الجديد في مجتمعاتنا الإسلامية؛ غالبًا ما تبدو عفوية، عشوائية؛ مشخصنة وفردية، غير فعالة، خالية من ضوابط التوجيه المنهجي، تتجاهل المبادئ الأساس لما يعنيه حضور المؤسسات الإسلامية والعلماء في ترشيد أدائها.

ثانيـًا: لا بد أن تُخَصِّب المناقشاتُ والمجادلاتُ حول الإعلام الجديد؛ تصوراتنا حول دور المؤسسات الإسلامية في الترشيد، وما يمكن أن يقدمه العلماء من مقترحات علمية قيمية تُصبح بوصلةً موجهة وعدسة لازمة لرؤية الصواب فيما تزدحم به وسائل الإعلام الجديد من معلومات، على أن يبقى السؤال الرئيس هو: كيف يتمُّ إشراك المواطنين في إدراك الحقائق الإيجابية وتمكينهم من العمل على فهم المسائل المعقدة؟ ونحن نستخدم كلمة «الدور» للإشارة إلى شكل شامل من الارتباط والانشغال والمسؤولية والإشراف.

وتقف على المحكِّ هنا مسألة: كيف ترسم التقنيات الرقمية الطرق التي يُحسن بها الناس إدارة التعايش مع الذين يختلفون عنهم، والذين غالبـًا ما تتضارب المصالح معهم، وفي الوقت نفسه تشكيل تجمعات جديدة أو جماعات تضامنية متآزرة حول القضايا ذات الاهتمام المشترك، و«الدور» هنا يرتبط بالتحولات التي تُحدثها وسائل الإعلام الجديدة في المجال العام في المجتمع، والتي تتميز بخفض أو زيادة، التوترات بين الفرد والجماعية، والاختلاف والتشابه، والصراع والتعاون.

ثالثـًا: عليهم مناقشة القضايا التي يمكن لانتشار تكنولوجيات الإعلام الجديدة أن تؤثر فيها على شكل وبِنية المجتمع المسلم، فقد قيل وكُتب الكثير حول تغيير الأنماط الثقافية والسلوكيات الاجتماعية في خِضَمِّ الثورة الإعلامية الحديثة، ولكن يَلزم إيلاءُ اهتمامٍ أقلَّ لمسألة شكل وسائل الإعلام الجديدة، وعنايةٍ أكبر بجوهر إسهامنا فيها؛ من خلال أدوار المؤسسات الإسلامية والحضور الفاعل للعلماء المسلمين في رفدها وترشيد الاستفادة منها، إذ إن مفهوم الارتباط النشط مع وسائل التواصل الاجتماعي؛ يسمح بمعرفة العلاقة بين التكنولوجيا والثقافة باعتبارها أكثر تعقيداً من مجرد الروابط المباشرة للسببية

والعلة والنتيجة، أو التأثيرات المتبادلة بين المصدر والمتلقي، لذا يُوفر الإعلام الجديد نقطة انطلاق للمؤسسات والعلماء والمثقفين والمواطنين الفاعلين؛ لأخذ زمام المبادرة في قيادة التحولات الإعلامية الجارية والمستجدة، وضبط أسس التغيير بالمعرفة الحقة بالوسيلة والصياغة العارفة للرسالة.

الإعلام الجديد والقيم الاجتماعية:

يتمثل التحدي الأساس في وصف الطريقة التي تعمل بها الاتصالات الإلكترونية الجديدة ووسائل الإعلام الرقمية؛ في تعديل طبائع المجتمع وقيمه، وتحريف المعايير والقيم، وعدم وجود الرؤية الشمولية كخيار محتمَل، إذ يجب علينا دائماً ألا نركز النظر فقط في عدد قليل من اتجاهات التغيير الذي يجري، والأثر الذي ستُحْدِثُه الاتصالات الإلكترونية، وإنما علينا مراعاة الشمول في تفاصيل السعي والكسب، وللاحتفاظ بمنظور خاص في هذا الصدد؛ ينبغي على كلٍّ مِنَّا أن يتذكر أن تكنولوجيا الاتصالات الإلكترونية المتطورة ليست سوى عامل واحد من بين العديد من العوامل المؤثرة في معادلة التغيير، رغم أنها تبدو مؤثرةً في المجتمع المتغير.

إن طبيعة سعة الانتشار للاتصالات تجعل وسائل الإعلام أكثر قوة، وهي فريدة من نوعها، وخصوصاً عندما نستخدم مصطلح «الاتصالات الإلكترونية»؛ بمعنى واسع لتشمل كفاءة استخدام الحواسيب والتشغيل الآلي للنظم، وكلاهما سيكون من المستحيل الإفادة منه لو لم تكن هناك تكنولوجيا الاتصالات الجديدة.

ولكي نتمكن من رؤيةٍ أفضل إلى حيث وأين يمكننا الذهاب؛ سنفترض أن التطورات التكنولوجية الممكنة في هذا المجال اليوم، هي ما سيتم إنجازه في

المستقبل، وإذا استخدمنا هذا المستقبل كنقطة انطلاق، فإننا نستطيع أن نتكلم من الموقع الذي سوف يسمح لنا برؤية أفضل لأنفسنا كمجتمع مسلم، وعندئذٍ علينا أن نكون مؤهلين تقنيًا ومعرفيًا، قريبين جداً لهذه الظاهرة، فنتساءل عما يحدث في عالمنا، ونسعى لمعرفة طبيعة وحجم واتجاه التغيير.

وعلينا ألا نقلل من محاولة إرضاء مَيلنا تجاه التطورات نحو تكنولوجيا الاتصالات، التي توحي بالتغييرات القادمة، كما أن إدراج هذه التطورات في تكنولوجيا الاتصالات المتغيرة؛ ليس صعبًا، ولن يكون من الصعب الجمع بينها لصياغة الخطوط العريضة لسيناريو جديد من أجل التغيير، وهنا يمكننا الإشارة إلى ست تطورات قد تكون ممهدة لهذا السيناريو، وهي:

١- تبدو المجموعة الكاملة من خدمات الاتصالات الجديدة- أي الشمول الذي اقترحه أصحاب البصيرة- ممكنة من الناحية التقنية، إذا كان تَقَبُّل التكلفة أيضًا ممكنًا.

٢- إذا كانت التكلفة مسألة مثيرة للقلق بالنسبة للمؤسسات الإسلامية، فالمُطمئن أن أسعار معظم مكونات التكنولوجية المتعلقة بأنظمة الاتصالات والإعلام الجديد؛ تنخفض باستمرار، وبسرعة.

٣- إن عدم وجود سعة النطاق الترددي المطلوب لمواقع العلماء المسلمين؛ ليس المشكلة الأكبر؛ إذ يذهب الظن إلى إمكانية وجودها بصورة أسهل في المستقبل القريب، خاصة مع انخفاض تكلفة الاتصالات وأجهزة الكمبيوتر والأجهزة المماثلة.

٤- لن يكون عدم قدرتنا على امتلاك أصل التكنولوجيا أبداً قيداً ملزمًا لنا في معرفتنا وتفاعلنا مع أنظمة وتطبيقات الاتصالات الجديدة في

المستقبل، فالذهن المسلم المُبدع قادر باستمرار على الانخراط النشط في مستجدات هذه التكنولوجيا.

٥- هناك قيود أكثر خطورةً تتمثل في عدم بَذْلنا لجهد يضعنا في خانة ريادة الأعمال، وقوانين حقوق النشر، ولوائح النقل المشتركة، وتخصيص الترددات العتيقة، ومنها القضايا المؤسسية والمؤسسة للاستخدام، ولكن ينبغي ألا نستسلم لأي سبب، وإذا فعلنا، فإن هذه العوائق يمكن أن تَضْعُفَ أو تتلاشى معها قدرتنا على الفعل.

٦- علينا تجنُّب المواعيد الدقيقة لتوفير المطلوب، فمناقشات الآثار المترتبة على الاتصالات الجديدة والخدمات المُمْكِنَة؛ قد تمضي قُدُمًا دون الإحساس بالقلق المفرط لمزيد من التفاصيل التكنولوجية، وقد لا تتطلب سوى خيال محدود لتصور خدمات جديدة.

يمكننا أن نتخاطب مباشرة من شخص إلى شخص، وتكون هناك شاشة كبيرة في كل منزل، وستكون لنا بنوك بيانات ومنتجات مماثلة من التقدم، وسنحصل على هاتف ساعة اليد الذي سيكون دائمًا معنا ويلازمنا حتى في أوقاتنا الخاصة جداً، ولأولئك الذين هم بيننا ولا يمثل الوقت بالنسبة لهم شيئًا مهمًا، يمكن أن يضيعوا في فعل شيء واحد فقط في كل مرة، وبلا قيمة حقيقة، وبدلاً عن تناول التفاصيل الفنية لهذه النعم التكنولوجية الرائعة للبشرية؛ علينا تَصَوُّر الآثار الاجتماعية الإيجابية المتأتية من الاستخدام المثالي لوسائل الإعلام الجديدة، دون أن نتجاهل الجوانب السلبية لها؛ كالهاتف المحمول الذي يدق فقط في الوقت الخطأ، مع رقم غير صحيح.

وفي عالم متشابك للغاية، فإن الوصول إلى الشباب من خلال موارد وسائل

الإعلام؛ يعادل جزئيًا قدرة السلطة السياسية في التأثير على المجتمع، والإغراء الذي تعودت عليه الحكومات الوطنية في ممارسة السلطة من خلال السيطرة على وسائل الإعلام والاتصالات؛ صار من الأمور القديمة، ولكن ليس في وعي كثير من مؤسساتنا الإسلامية ممارسةُ ذلك الآن، وبوسائل جديدة ومختلفة، ومع ذلك، فإن حضور هذه المؤسسات في هذه الوسائل وجهد العلماء في ترشيد رسائلها لأسباب أخلاقية إيجابية؛ يُعد ميزة معادلة لتحويل القوة الأخلاقية إلى منعة اجتماعية، وبالمثل، فإن شهية وسائل التواصل الاجتماعي النهمة للمعلومات والأخبار المثيرة المقروءة والمسموعة والمرئية؛ توفر آلية للعرض أو مساحة متاحة للتخاطب والتواصل مع الشباب وإمكانية ترشيد مطالعاتهم وتطلعاتهم، وحشد تعاطفهم مع ثقافة أمتهم، وكسب ولائهم لقيم مجتمعهم، وتحفيز تمسكهم بدينهم.

ومع تنوع قنوات المعلومات المتاحة، تتبدى صعوبة جديدة في تحقيق التماسك الاجتماعي، لأن المجتمع المستقر يتطلب قدراً من التماسك الثقافي، وهذا يمكن إيجادُه بالاتفاق المتبادل والضمني على أهدافٍ أخلاقية واتجاهٍ ديني، أو حتى على عمليات تحديد الأهداف الاجتماعية والاتجاه الوطني العام، وبنفس القدر، توجد هناك سهولة متزايدة في إنشاء مجموعات لها إمكانية الوصول إلى نماذج اختلاف أخلاقي واضح، ولا تتطابق قيمها مع الواقع الإسلامي، ما يُشكل تداخلاً مُخِلّاً في بنية المجتمع، وعلى سبيل المثال: كل مجموعة أيديولوجية في العالم لها مواقعها الإلكترونية، وتَبُث أيديولوجيتها ومعارفها على الشبكة العنكبونية، وتجتهد في اجتذاب الشباب لتبني توجهاتها، فإن لم يكن لها ما يعادلها ويغالبها ويغلبها في فضاءات الإعلام الجديد من مؤسسات إسلامية وعلماء؛ ستفوز بعقول كثير من الشباب وتتحكم في سلوكياتهم.

علينا أن نتخيل اليوم العالم الذي يوجد فيه عددٌ كافٍ من القنوات التلفزيونية الفضائية والمواقع الإلكترونية التي تحتل بالكامل أوقات مجتمعاتنا، وتُبقي كلَّ فرد منعزلاً عن الآخر في تَلقِّيه للرسائل المختلفة والمعارف المتنافرة، وبخاصة الشباب في عالمنا الإسلامي الذي تقل فيه القراءة والكتابة، وتتنوع فيه المجموعات والجماعات، وتتعدد اللغات واللهجات، فهل باستطاعة هؤلاء الشباب وأفراد هذه المجتمعات؛ التحدثُ بطريقة جماعية مجدية عن ثقافتها وموروثاتها؟ وهل باستطاعتهم التحدث مع بعضهم البعض بعيداً عن مواقع التواصل الاجتماعي للإعلام الجديد؟ وهل بمقدورهم الحصول على أي قدر من المعلومات من الاطلاع على المصادر الموثوق بها أو من كتب التراث؟ وهل نحن في خطر بسبب تكويننا لتنوعات وتعدديات افتراضية جديدة داخل مجتمعاتنا من خلال الاتصالات الإلكترونية بحيث يُفقِدُنا هذا التنوعُ المشتركاتِ، ويُضعف التعددُ التماسكَ والتضامنَ بإضعاف ثوابت المعرفة التقليدية، وإزالة ضوابط الخبرة المكتسبة واللازمة للتواصل الإنساني الموجب، ويُؤثر على الاستقرار الاجتماعي، وتضطرب به الأمة نفسها؟

يجب أن يدفعنا المشترك والتماسك والتضامن إلى تركيز النظر على الترشيد المطلوب والمرغوب، والمطالبة باستخدام المؤسسات الإسلامية والعلماء على نحوٍ متزايد لفنون الاتصال البشري، والحضور الفاعل المؤثر في وسائل الإعلام الجديدة، التي لا هي نعمة خالصة، ولا هي شر مطلق، وإنما هي واقع لا يمكن تجاهلُه، وعلينا أن نتسائل دائماً: كيف يمكن إبلاغ الخيارات الوظيفية لوسائل الإعلام الجديدة للشباب بشكل كاف؟ وكيف يمكن نشرُ الوعي بتأثير الاتصالات الجديدة ووسائل التواصل الاجتماعي في عالم حيث المعرفة هي القوة، وحيث تعني الاتصالاتُ القدرةَ على الوصول إلى السلطة بمستوياتها المختلفة، وأن الذين يمكنهم الاستفادة بأكبر قدر من الفعالية بسبب

هذه الاتصالات؛ سيكونون في مقعد القيادة؟ رغم أن من يعيشون مع الحِمل الزائد للمعلومات ويمارسون الاتصالات المفرطة، لا يعني ذلك بالضرورة حصولُهم على الكثير من المعارف، وإنما قد يُصابون بضعف في التركيز، ويكسبون عدداً قليلاً جداً من الأصدقاء، ويستشعرون غياب الطمأنينة بسبب فائض الاتصالات وحياة الحركة المحمومة، حتى بمقاييس اليوم؛ لأن الاتصالات الجديدة قد تكون محايدة، بمعنى أن دورها سيعتمد على كيفية استخدامها وفهْم كيفية عملها في الواقع، ولقدرتها على أن تكون جيدة أو سيئة، وباعتبارها «وسيلة» و«رسالة» ينبغي أن لا تُترك للصدفة، على أمل أن لا يساء استخدامُها من قِبل الشباب.

التحديات التي تواجه السلطة الدينية:

الحقيقة السابقة أكَّدت على أن وسائل الإعلام الجديدة تقدم إمكاناتٍ كبيرةً للتواصل والإبداع في المجتمعات الحديثة، ولكنها تجلب معها تحدياتٍ جديدةً للمؤسسات الدينية وسلطة العلماء، وواحدة من أكثر الأفكار المنتشرة على نطاقٍ واسع اليوم: أن الإنترنت يسمح باتِّباع نهج أكثر تشاركية للمجتمعات، وأن التكنولوجيا تُمَكِّن المستخدمين من الوصول إلى المعرفة بصورة أسرع وبسهولة أكبر، وبعبارة أخرى، فإنها تتحدى السلطة التقليدية للمؤسسات والعلماء والمثقفين من خلال إيجاد أشكال جديدة من القيادة والتنظيم الناشئ في الفضاء الافتراضي، داخل الشبكة العنكبوتية[١]، ففي حين تبدو معظم

(١) أحدث أبحاث الدكتورة هيدي كامبل، الأستاذة المشاركة في الاتصالات في جامعة تكساس A & M، في مجال: الدين في البيئات الرقمية، ويركز البحث على منتجي المحتوى عبر الإنترنت وطبيعة سلطتهم، Cheong, Pauline Hope, 'Authority' in Campbell (ed.) Digital religion: understanding religious practice in new media worlds (2013) New York: Routledge

الرسائل الموجودة في الفضاء الرقمي خالية من أي آثار لفكرة التشاركية التي يمكن استقراؤها من نتائج المطالعة العامة؛ إلا أن المؤكد أن أنواع السلطة التي ظهرت في بيئات وسائل الإعلام الجديدة؛ لا تتبع أنماط السلطة التقليدية، ولكنها تبدو«حسابية» في طبيعتها التي تقوم على التكرار العددي، أي عدد مرات النقر والدخول والمشاهدة والانجذاب والظهور على الإنترنت، والوضع الخاص في التسلسلات الهرمية للشبكة الاجتماعية والخبرات الرقمية، ونتيجة لهذا؛ علينا أن نتساءل: من هم الأشخاص الذين صارت سلطتهم محل تساؤل وتدقيق؟

وبالمقاربة مع مجتمعات غربية، فهناك ثلاث فئات متميزة ممن أسمتهم «هايدي كامبل»: «الإبداعات الدينية الرقمية»، وهم القادة والمبتكرون في المجتمعات الدينية على الإنترنت:

أولها: «رواد الكريول»، وهم أفراد لديهم خبرة فنية معينة ويجلبون مصالحهم الدينية عبر الإنترنت، ويخلقون مساحة للتعبير عن وجهات نظر معينة، وغالباً ما يقودهم الإحباط من المؤسسة الدينية المسيحية الرسمية إلى البحث عن البدائل في الفضاء الرقمي.

الثانية: «النقاد المصلحون»، ويميلون إلى أن يكونوا ساخطين على المؤسسات الدينية التقليدية، ويستخدمون وسائل الإعلام الجديدة لبث شكل المذهب الخاص بهم، أما **الفئة الثالثة** والأخيرة؛ فهم المتحدثون الرسميون باسم الكنيسة والنشطاء وممثلي المؤسسات والجماعات الدينية، كالمجلس الحبري للاتصالات الاجتماعية، الذي يسعى لأن يكون له موقعُه وواقعُه في الشبكة العنكبوتية.

يعتقد بعض العلماء أن الطبيعة غير الهرمية للإنترنت؛ تشكل تحدياً خطيراً لهياكل المؤسسات الدينية التقليدية في الغرب، ويتوقع الدكتور لورن داوسون

أن الإنترنت سوف يؤدي إلى «انتشار المعلومات الخاطئة والمضللة»[١] من قِبل خصوم جماعات دينية معينة أو المطلعين الساخطين، و«فقدان السيطرة على المواد الدينية» من قِبل المنظمات الدينية، وتوفر «فرصاً جديدة للأشكال الشعبية للمشاهدة» التي تُشجع بروزَ أصوات غير رسمية أو بديلة للخطب التقليدية، وبشكلٍ عام، فإن إمكانات الإنترنت في تمكين المستخدمين من تجاوز الزمان والجغرافيا والقنوات التقليدية للبروتوكول؛ قد يُشجع الممارسات والخطب التي تتجاوز أو تخرب سلطة هياكل المؤسسات الدينية المقبولة أو العلماء الثقات.

وعلى سبيل المثال: أعربت بعض المنظمات الدينية عن قلقها من أن المناقشات الحساسة في القضايا الخلافية المسكوت عنها أو التي يكون تداولها عادة بين العلماء والفقهاء، نُقلت إلى منتديات الإنترنت العامة، مما تنشأ عنه نتائج جديدة مرتبطة بإدارة الصورة العامة والتأكيد عليها، ويخشى البعض أن الإنترنت سوف يخلق سلطات دينية جديدة، في صورة مشرف الجماعة على الإنترنت؛ الذي يقوم بتحديدها ويعامل على أنه سلطة روحية مشروعة من قبل أفراد المجموعة الدينية على الإنترنت، ومع ذلك، تُشكك أبحاث أخرى في هذه الافتراضات، وترى أن الإنترنت قد تُمَكِّن السلطات الدينية التقليدية وتزيد من نفوذها وسط الشباب[٢].

وفي عالمنا الإسلامي، لم تقترن سلطة الوجود الديني عبر الإنترنت بالسلطة الدينية التقليدية في المجتمع في الوقت الحاضر، والعكس صحيح، ومع ذلك

---

(١) لورن داوسون http: //www.baylor.edu/content/services/document.php/130950.pdf

(٢) المصدر السابق.

فإن هناك انتشار كبير بين مجالَي السلطتين، هذا هو الحال مع المتحدثين الرسميين أو الإعلاميين، الذين يعملون على الإنترنت من أجل خدمة مصالح «المؤسسات الإسلامية» حاليـًا، أو مع «العلماء» الذين كسبوا ما يكفي من الأتباع، والذين هم في نهاية المطاف على تماسٍّ مع جمهورٍ أوسع خارج الشبكة العنكبوتية، وبالتالي فإن الخط الفاصل بين السلطة الدينية التقليدية وأولئك الذين ينشطون عبر الإنترنت؛ يصبح غير واضح بشكل يُمَكِّن من بناء تقديرات سليمة عليه، وهذا لا يعني أنه لا توجد هناك مشاكل أخرى للمستخدمين من العلماء في مجال الفضاء الرقمي، بما في ذلك الثقافة الموروثة والطبيعة غير الموقرة للإنترنت في نظر بعض علماء الدين التقليديين الآخرين، أو للإحباط الناجم عن معرفتهم بتكنولوجيا قديمة عفا عليها الزمن، فللإنترنت إمكانيات هائلة للتواصل والإبداع مقارنة مع الأشكال القديمة من وسائل الإعلام، ومع ذلك فالمستخدمون يميلون إلى «إيجاد قبيلتهم الخاصة» على الإنترنت بدلاً عن الانخراط في حوار مكثف بين الطوائف والجماعات خارجها، وهذا التناقض قد يستدعي بحثـًا مستقلاً في المستقبل.

وبِغضِّ النظر عن هذه الملاحظات، إلا أنه تبرز قضية البحث في موضوع الدين في بيئة الإنترنت، باعتبارها جزءاً من حضارة المَوجة الثالثة المعرفية، التي قد تلعب فيها البحوث دوراً حاسمـًا لتحديد المفاهيم الأساس لسلطةٍ تختص بمجموعة معينة أو مجتمع معروف، والميزة الأخرى التي ينبغي تسليطُ الضوء عليها، هي المواضيع العديدة الأخرى، والتي تحتاج إلى بحث جِدي هي الأخرى إذا أردنا أن نفهم أكثر دَورَ المؤسسات الإسلامية والعلماء بشكل عام، والإنترنت وغيره من أشكال الإعلام الجديد وتأثيراته على الشباب في المجتمع بصفة خاصة، وعلى المرء أن يتساءل عما إذا كانت طرق وأساليب البحث

العلمي التقليدية ستَبقى مواكبة لسرعة معدل التقدم التكنولوجي، أو ما إذا كانت سوف تتخلف أيضاً عن الركب.

إن واحدة من الاهتمامات الأساس المطروحة على المؤسسات الإسلامية وحضورها في فضاء الإنترنت، هي الطريقة التي تُغير بها المشاركة في الإنترنت فهْمَنا للسلطة الدينية، وقد تبدو المناقشاتُ هنا معقدة جزئياً؛ لأن الباحثين يعرضون قضية «السلطة الدينية» بطرق مختلفة، هل هي مسألة كيف يمكن أن تؤثر المؤسسات على الإنترنت، أو أن الإنترنت سيعمل على تشويه صورة الزعامات الدينية التقليدية؟ فعلى سبيل المثال: هياكل المؤسسات، أو نظم التدريب والتأهيل لعلماء الدين؛ هل أعطت الإنترنت دفعاً للقادة الجدد الذين يقدمون الفتوى الفورية، ويشرحون الأفكار والمسائل الفقهية، أو ينصبون أنفسهم مرشدين روحيين للجماعات بلا رسوخ في العلم الشرعي؟ هل تعكس النصوص الدينية التقليدية التي على الإنترنت، أو تؤطر النصوص ونظم التفسير السليمة لجمهور متعطش للمعرفة من أي مصدر متاح؟ كيف يُغير الخطاب الديني على الإنترنت فهْمَ الناس للشائع من التعاليم الإسلامية، أو الهوية الدينية لمجموعات من الشباب المسلم؟

التعامل مع التصورات المشوهة:

إن المشكلة مع الإعلام الجديد التي ينبغي أن تضعها المؤسسات الإسلامية والعلماء نُصْبَ أعينهم، تتمثل في أن كل واحدٍ مِنَّا يرى العالمَ من خلال عدسته الخاصة، وحتماً فإن هذا يعني أن الناس المختلفين يلجأون إلى تفسير الحدث نفسه بشكل مختلف، ويعني أيضاً أنه في كثير من الحالات، يكون التصور هو حقيقة الواقع، ويُعد هذا مدخلاً لاختلاف كبيرٍ ربما يعمل على تمزيق المجتمع، ولا يمكن لغير السياسيين البراجماتيين أن يعيشوا مع

ذلك، إذ لن يكون لديهم خيار آخر يساومون عليه طالما أن هدفهم ربح الرضا العام بأي ثمن.

وما يخلق مشاكل أكثر صعوبة وتعقيداً: هو تعدي التصورات التي يُشكلها الإعلام الجديد؛ خطَّ الفرد إلى الجماعة، وتبدأ بدورها في تشكيل مسلَّمات مُشوَّهة، وأعني بهذا: الحالات التي يكون فيها التصور لدى شخص معين يطابق الحقيقةَ الواقعة، والتي رسمها ورسَّخها الإعلام؛ والذي يتبنى هذا التصور ليس لديه بديل آخر، مما يجعله يقدم عرضاً غير صحيح عن هذا الواقع، ويتفاعل مع قيم قد لا تنسجم مع معتقدات المجتمع؛ مما يُدخله في تناقضٍ وصراع مستمر مع الآخرين، لأن هذا الشخص يعتقد جازماً أن تصوره هو الصحيح، إلا أن على المؤسسات الإسلامية والعلماء دور توجيهي تصحيحي آخر يجب ألا يقبل بالمسلَّمات المفروضة قسراً من قِبَل الإعلام الجديد، ولا المساومات المُضَيِّعَة للقيم.

هناك عوامل كثيرة تؤثر على الطريقة التي ننظر بها إلى العالم والناس الذين يعيشون فيه، إذ أن خلفياتنا الثقافية المختلفة وتجارب الحياة والقيم الشخصية والدينية؛ تؤثر في جميع التفاعلات والعلاقات مع الآخرين، تماماً كما تفعل شخصياتنا ومهاراتنا الاجتماعية وأساليبنا ونهجنا؛ في التعامل مع الناس والمشاكل التي نواجهها، ففي المجال الإعلامي والسياسي، نجد أن الفاعلين الإعلاميين والسياسيين، هم أكثر الناس حاجةً إلى أن يتعلموا المهارات التي تمكِّنهم من فهم وإدارة تصورات الآخرين عنهم، ولا شك أن حاجة العلماء المسلمين والمؤسسات الإسلامية لهذه المهارات ضرورية بل مُلِحَّة، حتى ولو حسُنَتْ تصوراتُ كل الناس عنهم.

وهذه بالقطع ليست مهمة صعبة كما قد يتصور البعض، رغم أنها قد تتطلب قدراً كبيراً من التفكير والدافع والوعي الذاتي والقدرة على تجويد الممارسة والصبر عليها، وطالما كان لدى المؤسسات الإسلامية والعلماء فهْمٌ صحيح لطبائع الأشياء والتكييف الشرعي للقضايا الإشكالية؛ فسيصلون إلى الغايات المتوخاة، ورغم ما قد يَنقص بعضَهم من مهارات تقنية للوسائط الإعلامية؛ إلا أنهم سيَجدون من السهل عليهم التواصلُ مع الناس عبر هذه الوسائط، وتحفيزهم وقيادتهم، وما يحتاجون إلى معرفته ليس ذلك التلاعب الفني المُفضِي إلى إدارة التصورات كيفما اتفق؛ وإنما الدُّرْبة على غرس القيم الدينية الصحيحة في نفوس الشباب، وتوجيه الأجيال الجديدة إلى ما فيه صلاحُهم وصلاحُ مجتمعاتهم، فتقنيات الاتصال والإعلام الجديد وبراعتها في إدارة التصورات؛ يمكن أن تكون إيجابية أو سلبية، تبعاً للسياق.

ونحن نعيش في مجتمعات يُنفق فيها الناس والقوى السياسية؛ المليارات لتوظيف الآخرين لصالح تصوراتهم، مستخدمين في ذلك الإعلانَ والعلاقاتِ العامةَ وكلَّ وسائط الإعلام الجديد لإدارة هذه التصورات، ويمكن لقادة الرأي في المجتمع - كالمؤسسات الإسلامية والعلماء- استخدام نفس هذه التقنيات التي تستخدمها الشركات والمؤسسات الربحية للتأثير على الآخرين وتغيير تصوراتهم، وعلى أقل تقدير: يصبحون على بينة من تأثيرها على سلوك الآخرين؛ وفي أحسن الأحوال: سيتعلمون استخدامَ هذا الوعي لتطوير المهارات التي تسمح لهم بإدارة سلوكهم بطريقةٍ تعزز حياتهم المهنية؛ سواءٌ أكانت سياسيةً وثقافية، أو اجتماعية.

إن تحولاً كبيراً يحدث الآن بسبب التطورات المتلاحقة والمتصاعدة في وسائل الإعلام، يُعيد تشكيل العلاقات في حياتنا، دون أن تكون لمؤسساتنا

القدرة على السيطرة عليه أو حتى متابعته ومجاراته، وبعد أكثر من ألف سنة، حافظ فيها علماء الإسلام بشكل عام على سيطرتهم الكبيرة على الإنتاج الفقهي والتفسير ونشر النصوص الإسلامية والمحتوى العلمي والمعرفي لجموع المسلمين في جميع أنحاء العالم؛ فإننا الآن- وللمرة الأولى في تاريخ الأمة- نشهد بدايةً لتغيير جِذري، إذ تأخذ وسائل الإعلام الجديد- كالـ«فيسبوك، ووردبرس، وتويتر، ويوتيوب، وواتسب»- والعديدُ من أدوات شبكة «الإنترنت»؛ زمام المبادرة في النشر وتبادل المحتوى بطرق سهلة ورخيصة، أو مجانية وتشاركية، ونتيجة لذلك، يتعرض الملايين من مستخدمي الإنترنت من الشباب المسلمين اليوم؛ إلى تنوع هائل في مصادر المعرفة الدينية والفتاوى والأفكار والآراء الخلافية المختلفة والخاطئة عن الإسلام، على عكس أي وقت مضى، وأصبحت لدى الشباب حريات لم يعهدوها من قبل في التعبير عن أفكارهم ونشر تصوراتهم دون قيود على الإطلاق، أو حضور موجه وحاسم لأصحاب المعرفة الشرعية الصحيحة من العلماء والمؤسسات الإسلامية.

لهذا فمن الأهمية أن يكون للعلماء المسلمين اليوم حضورٌ فاعلٌ متفاعلٌ مع هولاء الشباب، وقدرة على التحليل النقدي لمحتوى معلومات وأخبار وسائل الإعلام الجديد، وفهم المخاطر والفرص المرتبطة بالإنترنت، وعليهم أن يصبحوا مستهلكين وناقلين للمعلومات والآراء المسؤولة الواعية، وأن يتبعوا المنهج التجريبي والتطبيقي العلمي، الذي يمكِّنهم من التنقل الفاحص في وسائل الإعلام وشبكة الإنترنت بكل ثقة وباقتدار، ومعالجة المعلومات الخاطئة أو المتحيزة حول المجتمعات الإسلامية والمعتقدات الدينية، ففي حين يعمل الكثير من العلماء والمؤسسات الإسلامية على مواصلة تعزيز الفكر الإسلامي الصحيح، وتطوير فهم الناس للسائد الحالي من العلوم الشرعية؛

تبدو بعض الأفكار المبثوثة من خلال وسائط الإعلام الجديد؛ مزعجةً؛ إذ تسعى لجذب الشباب المسلم للانضمام إلى مجموعات متطرفة، ويُعتبر بعضُها الآخر ليبراليًا جداً، بل يصل إلى حد الهرطقة، وبعضها يُهاجم الإسلام، وجميعها مخالف للمنهج العلمي القويم، وللأسس الشرعية التي يقرها جمهور العلماء، ولكنَّ نفوذها ينمو وسط الشباب المبهورين بنتاج وسائط الإعلام الجديد.

بَيد أنه بِغَضِّ النظر عن المكان الذي يقف فيه العلماء وتقف فيه المؤسسات الإسلامية، وبالنظر إلى وسائط الإعلام الجديد؛ فإن الأمر يتطلب وقفة جادة من الجميع في ساحات الإعلام الجديد والفضاء الافتراضي، لأن هذا الواقع الافتراضي يجتاح كل الساحات ويفرض نفسه بقوة[١]؛ رغم أنه ما يزال يطرح أسئلة أكثر من الأجوبة التي تَبرز في كل منعطف وتُلح على الإجابة، مثل:

* ما هي الأساليب التي يؤثر بها الإنترنت على المجتمعات والثقافة الإسلامية؟
* وما هو دور المؤسسات الإسلامية والعلماء في ترشيدها؟
* كيف يعمل الشباب المسلم الخبير بفنون الإنترنت؛ على تغيير صورة الإسلام في الغرب والشرق؟

---

(١) لعب الواقع الافتراضي الدورَ الرئيسَ في مؤتمر «إي ٣» لألعاب الفيديو في لوس أنجلوس ٢٠ من يونيو ٢٠١٥، إذ تنافست شركات كبرى على تقديم كل ما هو جديد ومبتكر في هذا المجال، فرفعت مايكروسوفت سقف التوقعات بعرضها نسخة مجسمة للعبة ماين كرافت باستخدام عدسة هولوغرافية بمقدورها دمج الصور ثلاثية الأبعاد مع العالم الحقيقي، وطورت شركة كندية مشروعاً لتحويل المحتوى ثنائي الأبعاد من هاتفك المحمول أو حاسوبك اللوحي إلى ثلاثي الأبعاد، وباستطاعة الجميع أن يروه ويتفاعلوا معه من جميع الزوايا. http: //www.bbc.com/news/undefined

* ما هو مستقبل حرية الإنترنت والرقابة في البلدان ذات الأغلبية المسلمة؟
* لماذا نرى أن ترشيد الإعلام الجديد مهم لاعتدال الحركات الشبابية، خاصة وأن الواقع الافتراضي يفرض نفسه عليهم؟
* وأخيراً: ما هو مستقبل الإسلام والمؤسسات الإسلامية في عصر الإعلام الجديد؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، لابد من حضور (علماء الإسلام، والمؤسسات الإسلامية، وخبراء الإعلام الجديد، والأكاديميين، والصحفيين، والناشطين التقنيين)؛ للحوار بصوت هادئ وعاقل، وإعمال للنظر الثاقب، والتصور المبدع، الذي يُركز على استكشاف الإجابات المقنعة لهذه الأسئلة المُلِحة، فالمعطى الأساس الذي يُمهد للإجابة هنا؛ هو أن المؤسسات الإعلامية لم تَعد تُدار من قِبل الدولة والأحزاب والمنظمات السياسية وحدها، ولكن من قبل الأفراد أنفسهم، إذ سيتم الحكم على فاعلية الإنسان ليس فقط تقديراً على ما يفعله، ولكن على الطريقة التي يفعل بها في السياقات الإعلامية المختلفة، إذ ستلعب تصوراتُ وتقييمات الآخرين له؛ دوراً مهماً في حياته السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، والناس الذين لهم مهارات إعلامية للتأثير على تصورات الآخرين؛ لديهم فرصة أفضل بكثير للسيطرة على مصيرهم ومصير الآخرين.

ولهذا يجب على كل المهتمين المعنيين، فهْمُ تصور الآخرين الموجود عن أنفسهم، والتصور الجديد الذي يرغبون في الإقناع به، ومن ثم يحتاجون إلى إنشاء جسرٍ بين التصورين، والعثور على فرص لنقل رسائل إيجابية للشباب المسلم، مع حرصٍ على التجويد وإتقانٍ لمحتوى الرسالة، لأن أي خطأ سيَسهُل اكتشافُه على الفور، ولأنه لا يمكن الخطأ في أمر التصورات المرتبطة

بعقائد الناس، فالخطأ صعب أن يستمر، ولفهم الكيفية التي ينظر بها الشباب للمؤسسات الإسلامية؛ فإن هذه المؤسسات بحاجة إلى الحصول على فهْم دقيق لنفسية هؤلاء الشباب والطرق المُثلى للتعامل معهم.

المواجهة القادمة:

إننا كمجتمعات مسلمة، نواجه فترة من فقدان البراءة كل صباح، ونكتشف أن بعض الشباب أصبحوا مبرمجين في تصرفاتهم بمجموعة من القيم المكتسبة في المقام الأول من وسائل الإعلام الجديدة، ومنذ وقت مبكر جداً في شبابهم، وللأسف فإن أكبر الإسهامات المُكَوِّنَة لنشوء هذه القيم؛ تأتي من خلال وسائل لا سلطة ضبط أو تدقيق لنا عليها، وقد لا تتأتى لنا القدرة للنظر بجدية في طبيعة رسائلها المبثوثة في فضاء التواصل الاجتماعي وغيرها من أشكال الإعلام الجديد، وقد لا نتمكن من التدخل إلا بإتقان المعرفة التفصيلية بتقنيات وسائل الإعلام الجديدة، وإقناع العلماء بأن يكونوا حضوراً فاعلاً فيها؛ موجهين ومرشدين، فإذا فعلنا ذلك نستطيع أن نُقدر المغزى الكامل للبرمجة الإعلامية في تصميم توجهات الشباب، وتأثيرها على ناتج القيم الأساس للجيل القادم في المجتمع، ومن ثم مواجهتها بالاقتدار المطلوب، فنحن بحاجة لأن نُثبت للجيل الجديد من الشباب؛ اليوم وليس غداً، ومما لا يدع مجالاً للشك أن منظومة قيم مجتمعاتنا هي أساس تعاليم ديننا، ولا يتم الحصول عليها من وسائل التواصل الاجتماعي كيفما اتفق، وعليه؛ لا تخضع القيم كثيراً لتوجيه الإعلام الجديد، والعبث بها يُعد سيئة لا يمكن التسامح معها.

نعم، نحن نُقر بأننا نواجه معضلة، لأننا كأمة إسلامية لا نقبل موقفًا أو مبدءاً يقول: «دعه يعمل»، كيفما اتفق، ونُصِرُّ أن تخضع وسائل الإعلام لدينا للسيطرة الأخلاقية، وقد يكون هذا الموقف أو التوجه؛ رداً على إدراكنا الذي تختلط فيه

الحقيقة بنظريات المؤامرة، بمعنى أن المؤسسات الغربية والأيديولوجيات البغيضة والأفكار المنحرفة التي تدير وسائل الإعلام الجديدة، تَتَعَمَّد تشويه الحقائق الإنسانية والقيم الدينية بشكل صارخ، وتعمل على تكييف سلوك الشباب عن طريق التحكم في المعلومات، ونَوَدُّ أن نعترف أن أية تنمية للقيم الأخلاقية والدينية عن طريق الصدفة؛ لن تكون أفضل من التلقين المدروس بواسطة المؤسسات الإسلامية والعلماء الثقات، ومع ذلك فإن الرسائل الخفية التي يتلقاها صغار السن والشباب في مجتمعاتنا عبر وسائل التواصل الاجتماعي؛ ليست عشوائية كلها، ولكن كثيرا منها ليس مفيداً على إطلاقه، رغم أن هذه الرسائل تبدو مترابطة بما فيه الكفاية، وأنها تمتلك الاتساق والتماسك لتكوين قوة تكييف قوية تُضاهي قيمة التلقين الممنهج، ولأننا لسنا دائماً على يقين من الطبيعة الدقيقة لوسائل الإعلام الجديدة ورسائلها المبثوثة بلا ضوابط، ومدى القيم التي غرستها في أذهان الشباب، وبالتالي فإننا لا نميل إلى اعتبار أن وسائل التواصل الاجتماعي والبرامج الإعلامية المختلفة؛ محايدة في تأثيرها، لذا يلزم في تعامل مؤسساتنا الإسلامية وعلمائنا مع وسائل الإعلام الجديدة؛ النظر الفاحص لأجندات بعض القوى الجديدة المحفزة للتغيير في مختلف قطاعات المجتمع، ويجب علينا أن نركز على ظواهر الاتصالات ووسائل الإعلام الجديدة، بدلاً عن التركيز فقط على ظواهر الرسائل أو التشكيك في محتواها، فبينما تزداد القدرة على نقل الرسائل بشكل ملحوظ خلال كل ما رأيناه حتى الآن من وسائل إعلام جديدة، فإن مضمون هذه الرسائل لا يزال هو الذي سيحدد كيف ستغير وسائل الاتصالات الإلكترونية الجديدة والمستقبلية أساليبَ حياتنا، ولكن هذا لا يمكن أن يكون مُسْتَوعَبًا بشكل صحيح دون فهمٍ أفضلَ لوسائل الإعلام الإلكترونية الجديدة نفسها.

الحضور الفاعل والترشيد المطلوب:

لم تعد أهمية أدوات وسائل الإعلام الجديد بحاجة إلى حجج تدعمها أو تؤكد عليها، فقد شهد العالم كله قوة وتأثير هذه الأدوات في مختلف الأحداث والثورات، بل إن عدداً من المؤسسات لاحظت بُزوغَ هذه القوة، وبدأت التحقيق في استخدام وتأثير هذه الأدوات في مجالات أقل وضوحاً مما اعتدنا تلمُّسَه عادة، مثل الخطاب الديني داخل المجتمعات والجماعات، والحوار بين أتباع الأديان، فالاتهام كان يوجه دائماً للهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر والإنترنت، التي أنتجت الإدمان على الترفيه الرخيص والدعاية السطحية، ومردُّ ذلك: تضاؤل الاهتمام بالموضوعات الجادة لدى الشباب، فيما أصبح معظم الأطفال والطلاب عُرضة للإلهاء وإضاعة الوقت، أكثر بكثير مما أحدثه ظهور المذياع والتلفاز لدى الأجيال السابقة، فقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز، في ٢١/ ١٠/ ٢٠١٠، مقالاً ورد فيه: أن فتاة تبلغ من العمر ١٤ عاماً تتبادل ما متوسطه ٩٠٠ رسالة نصية في اليوم، وبهذا يجري تغيير عقول الشباب بشكل دائم، من خلال وسائل الإعلام الجديدة ووسائط التواصل الاجتماعي، بعد أن اعتادوا على التفاعل ورد الفعل الفوري (الإشباع)، مما يستلزم مراقبة إيجابية، بالحضور الرصين الصبور للآباء والأمهات والمدارس والمؤسسات الدينية والعلماء في هذه الوسائل والوسائط، فيحاولوا جاهدين التعامل معها ورِفْدَها بقيم الدين السمحة، حتى لا يتركوا الشباب نهباً لغُثائها[1].

(1) Growing Up Digital, Wired for Distraction, http: //www.nytimes.com /2010 /11/21/technology/21brain.html?_r=1

ومع زيادة الوعي بأن الدين لم يذهب أثرُه الإيجابي وما يزال يلعب دوراً مهماً في المجتمع المعاصر؛ فقد أصبح الأكاديميون وعلماء الدين؛ يشعرون بالقلق إزاء تأثير وسائل الإعلام الجديدة على كيفية تصور الناس للتدين وممارسة العبادات في القرن الحادي والعشرين، واهتم كثيرون منهم بالمشاركة الإيجابية النشطة، ولتحقيق هذه الغاية، لا بد من الوجود المستمر والفاعل للعلماء المتمكنين من علوم الدين والدراسات الإسلامية ومن الثقافة الرقمية في شبكة الإعلام الجديد، وأن يسعوا إلى تسليط الضوء على هذه الوسائل الجديدة وتشجيع البحوث متعددة التخصصات وتبيان الجوانب الحيوية منها، والوصول بالبحث المستقل إلى النتائج والمعلومات الأساس في هذا المجال المهم الذي أوجدَتْه ثورة الاتصالات وتكنولوجيا الإعلام. والمفتاح لهذا المسعى: إطلاق مواقع إسلامية على شبكة الإنترنت، وتوفير الموارد اللازمة لإدارتها، ونشر المعرفة الوسطية للإسلام، وتيسير تقنيات العثور عليها من قِبل الباحثين الشباب، وتمكينهم من الوصول إلى كافة الدراسات الدينية والمسائل الفقهية التي يحتاجون إليها لممارسة عباداتهم، وتنظيم شؤون حياتهم على أساسها.

ومثلما يُدرك العاملون في المؤسسات الإعلامية التجارية؛ أن السوق المحتملة للمواضيع الروحية والدينية بين شريحة الشباب، ينبغي على علمائنا ومؤسساتنا تجديدُ أساليب عملهم، وإنتاج البرامج والمنتجات التعليمية الدينية في منافسة مع الهيئات الإعلامية التجارية للاستفادة من هذا السوق الكبير الذي يمثله جمهور الشباب النهم للمعرفة، إذ إن التواصل المباشر مع العلماء عبر الوسائط الجديدة، والانخراط النشط في وسائل التواصل الاجتماعي، يجعل العلاقة مع الشباب حول القضايا المرتبطة بالمواضيع الدينية والروحية وثيقة ومؤسسية؛ توجيهاً وترشيداً للأفكار والممارسات الدينية.

وفي هذه العملية التجديدية، فإن الإطارات القديمة للسلطة الدينية القائمة على أدوار العلماء التقليدية، ستفسح المجال للمعرفة على أساس التكنولوجيا الجديدة لوسائل الاتصال، التي تجتذب الشباب وتُشكل توجهاتهم وأنماطَ سلوكهم، خاصة وأن الشباب أكثر حذراً من التحزب والتمذهب الديني، وأكثر احتمالاً لاستخدام التكنولوجيات الجديدة كأدوات للمشاركة والمثاقفة والحوار الافتراضي الجاد، فقد أدت هذه التحولات إلى ظهور الكثير من النتائج المحتمَلة من هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الأمة، وأوضحت تأثير التقنيات الإعلامية الجديدة على الخطاب المعرفي العام، وبينت تقاطع الخرافة والسطحية والهرطقة مع المعارف الدينية الصحيحة، ومن خلال التحليل النوعي للمقالات في المواقع الإلكترونية، والتعليقات، ومعرفة كيفية عمل وسائل الإعلام في توليد المناقشات حول صحة وصدق القضايا الدينية؛ يمكن التدخل السليم للتأثير والترشيد، وبهذه الطريقة يمكن للمؤسسات الإسلامية أن تُوجِد البيئة الإعلامية الجديدة المنافسة لديناميكية مصادر وسائل الإعلام الجديدة المستقلة.

وفي كثيرٍ من الأحيان، يمثل حضور العلماء في وسائل الإعلام الجديدة، خُطوة مطلوبة تمكِّنهم من استغلال ديناميات هذه الوسائل لصالحهم، مما يؤدي إلى تغيير الآراء الخاطئة التي تَبُثُّها القُوى الجديدة التي ظهرت وانتشرت، وتعديل التحولات السالبة التي حدثت في أعقاب التوسع السريع في استخدام التكنولوجيا ووسائل الإعلام الجديدة، في الحديث عن القضايا الدينية والثقافية والسياسية والتغيير الاجتماعي في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي.

وهنا لابُد من الإشارة إلى إمكانية استخدام هذه الأدوات الجديدة في الحياة الإسلامية بطرائق وأوجُه شتى، إذ يُستخدم (التُّويتر) لإرسال الآيات القرآنية

والتعاليم الدينية؛ ويُستخدم مع (الفيسبوك) لنشر الخطب الدينية والدعوة الإسلامية؛ وتُساعد تطبيقات الهواتف الذكية، مثل: iPray، iQuran، على إيجاد إتجاه القبلة في مكة المكرمة، وأحكام شهر رمضان، والعثور على أقرب مسجد، والمطاعم الحلال في بعض المدن الأجنبية، فقد تم تطوير هذه التطبيقات لمساعدة المسلمين في ممارسة حياتهم الدينية بسهولة واكتمال، «فلا عذر الآن»، مع ضرورة التنبيه المستمر لما يُمكن أن يتأتى من هذه التسهيلات من أضرار، والتحذير من مخاطر الضغوط التجارية التي تجعل الدين وشعائره سلعاً يُحفز توزيعها الربح لا الدعوة[١].

إن استخدام هذه الأدوات للدعوة رائج، وينافس في فعاليته النوازع والدوافع التجارية، وقد بدأ باكراً، إذ نشرت صحيفة «فاينانشال تايمز»، في ٦ من يوليو ٢٠١١، بعنوان: «علماء الدين السعوديون يستفيدون من الشبكات الاجتماعية»، وذكرت أن الشيخ عبد الله بن جبرين، (وهو عالم سعودي معروف توفي قبل عامين من ذلك التاريخ عن عمر يناهز الـ ٧٦)، قد جمع ما يقرب من ٦٠٠٠ من الأتباع في غضون أسابيع من انضمامه إلى تويتر، وأن تلاميذه قاموا بإحياء فتاواه من أجل الوصول إلى جيل جديد من خلال هذه الوسيلة الجديدة، وقال الخبر إن الشيخ سلمان العودة لديه ١١٣،٠٠٠ من الأتباع على تويتر، وما يَقرب من نصف مليون مشجع على الفيسبوك[٢]، ولا بد

(١) نضال قسوم، أستاذ الفيزياء وعلم الفلك في الجامعة الأمريكية في الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، «وسائل الإعلام الجديدة والإسلام»، تاريخ النشر: ١١/ ٠٨/ ٢٠١١،
http://www.huffingtonpost.com/nidhal-guessoum/new-media-and-islam_b_1077496.html

(2) http: //www.ft.com/cms/s/8b9834c8-a7ff-11e0-afc2-00144feabdc0, Authorised =false.html?

أن هذه الأعداد قد تضاعفت منذ ذلك الحين، كما زاد حضور كثير من العلماء والشيوخ الآخرين في وسائل التواصل الاجتماعي.

وبالقطع ليس الجميع سعداء بهذه الأدوات الجديدة، والتي يمكن أن يكون من الواضح تأثيرها الكبير على حياة الناس الدينية، وعلى الخطاب الديني الذي يمكن أن ينتقل من خلالها، وعلى مستوى الاتصالات، ومواقع التواصل الاجتماعي، التي تشغل قطاعاً واسعاً من الشباب وتجتذبهم إليها دون أن تقدم لهم غذاءً فكرياً جاداً، فقد ندَّد بـ«تويتر» عددٌ من المفكرين المعروفين في الآونة الأخيرة؛ منهم «نعوم تشومسكي»، واعتبروه وسيلة «سطحية» للاتصال، «تُضعف العلاقات الإنسانية العادية»، لأنه: «يتطلب شكلاً موجزاً ومختصراً جداً من الفكر، الذي يميل نحو السطحية»[1]، ويُشاركه الرأيَ: المفكر المعروف «سيد حسين نصر»، إذ أنه في مقابلاته مع مظفر إقبال، نُشرت في كتاب قبل بضع سنوات، انتقد الهاتف الخلوي باعتباره «مثالاً جيداً» على الآثار السلبية التي يمكن أن تجلبها التكنولوجيات الجديدة على سلامة حياتنا الدينية، لأنه: «غيَّر الفضاء الذي يعيش فيه العديد من البشر، ودمَّر السكينة الداخلية الهادئة التي نكون فيها وحدنا مع الله... ويُحدث أثراً عميقاً على النفس البشرية»[2].

وبالمثل، فإن صحيفة لوس أنجلوس تايمز الأمريكية؛ كانت قد أرجعت ردود الفعل الشديدة التي أعرب عنها بعض رجال الدين وغيرهم من صُناع

(1) Noam Chomsky, http: //figureground.ca/interviews/noam-chomsky/

(2) Islam, Science, Muslims, and Technology (Seyyed Hossein Nasr, in conversation with Muzaffar Iqbal), Publisher: Islamic Book Trust (2007) http: //www.islamicbookstore.com/b9684.html

الرأي هناك، إلى إدمان الشباب على شبكة الإنترنت بشكل يُنذر بالخطر، وقد حذَّر أحدُ هؤلاء العلماء طلابه من «الأخطار والفتن» للإنترنت، ونصحهم بـ«قضاء المزيد من الوقت في الصلاة ووقت أقل للتصفح خلال الفضاء الإلكتروني»[١]، وهناك وجهة نظر أخرى تقول بعدم وجود أي تناقض بين أن يكون المسلم ملتزماً ويستخدم الفيسبوك والشبكات الاجتماعية، وترى أن «أي مسلم ملتزم يُمكنه أن يتعامل مع جميع أنواع الأدوات والتكنولوجيا الحديثة مع احتفاظه بحياته الإيمانية الإسلامية»[٢]، إلا أن الخوف الكبير من انخراط الشباب في الفجور والأعمال الشريرة وإدمان مواقع نشر الفساد، يُصيب الكثيرين بالقلق، للتأثير الواضح للوسائل الرقمية الجديدة على الحياة الاجتماعية والدينية للناس، وخاصة قطاعات الشباب.

لذا يُعتبر الإعلام الجديد؛ المُنَظِّمَ للمشهد الاجتماعي والثقافي المتغير في مجالات الحياة المختلفة، بما فيها الوسائل التي تعمل في جميع أنحاء العالم الإسلامي وخارجه، وبالاعتماد على مجموعة واسعة من المواضيع التي تتناولها وسائل الإعلام الجديدة وشبكات التواصل الاجتماعي؛ يمكن تقديم وجهات نظر جديدة حول كيفية تأقلم المسلمين على رسائل ووسائل الإعلام المحلية والدولية، التي تدفعهم باستمرار للتواصل بشكل مستقل عن

(1) http: //latimesblogs.latimes.com/babylonbeyond/2011/09/iran-cleric-says-more-prayer-less-web-surfing.html

(2) OBSERVATIONS FROM IRAQ, IRAN, ISRAEL, THE ARAB WORLD AND BEYOND, http: //latimesblogs.latimes.com/babylonbeyond/2011/09/iran-cleric-says-more-prayer-less-web-surfing.html

المؤسسات الإعلامية الرسمية بما فيها المؤسسات الدينية، وبالتالي عرض أفكار جديدة حول المدى الذي تجاوزت به وسائلُ الإعلام الجديدةُ؛ الحدودَ المحلية والقُطْرية، وعملت على غرس قناعات جديدة حول مفاهيم التدين، والأخلاق، وقضايا النوع الاجتماعي، والسُّلطة، والعدالة، والسياسة، والحداثة، والثقافة، في المجتمعات الإسلامية، وحضور المؤسسات الإسلامية والعلماء، في وسائل الإعلام الجديدة ومواقع التواصل الاجتماعي، سَيُمكِّن من مناقشة كل القضايا الراهنة، وما يلي منها الشباب خاصة، وتبادل المعرفة بين العلماء والمتعطشين لها من هؤلاء الشباب، وتعزيز استراتيجيات العمل الدعوِي في الفضاء الرقمي، ويُيسِّر إقامة شبكات تواصل فعّالة بين العلماء والباحثين وطلبة الدراسات العُليا والإعلاميين، واستصحاب جهودهم في كافة مجالات الدعوة، ويتطلب ذلك تحديثًا وتركيزاً على الموضوعات والقضايا المتعلقة بالأولويات المُلحة المعروضة للبحث والنقاش بين الشباب، وما يرتبط منها بضرورات التربية الإسلامية القويمة وأساساتها؛ بما فيها فقه الدعوة، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، والتربية الأخلاقية، والخطاب الإسلامي، وعلوم القرآن الكريم، وقضايا العصر المختلفة.

صوت الحكمة:

إن وسائل الإعلام الجديد اليوم، كالفضائيات، والإنترنت، والاستخدامات الجديدة لوسائل الإعلام القديمة، مثل أشرطة الكاسيت، والفيديو، والسينما، وقصص الخيال العلمي، والهاتف، والصحافة، تُعيد تشكيل الثقافة في المجتمعات الإسلامية بشكل كبير، وسواء في الدول ذات الأغلبية المسلمة، أو غيرها من الأماكن الأخرى، فقد ارتبطت وسائل الإعلام التقليدية؛ الـ«صغيرة» والـ«بديلة»، بشكل وثيق مع المسلمين المتعلمين، الذين كانوا يبحثون عن

اتجاهات وهويات جديدة، كما عزَّز استغلالَ العامة والمجموعات الشعبية الأخرى، لوسائل الإعلام الجديدة التعددية، وشجَّع تطويرَ مجالاتٍ جديدة، وابتداع طرق مختلفة لتفسير الدين والتدين، وتأسست على ضوء ذلك شبكات مجتمعية كثيرة، ليس فيما تقدمه من معارف فائدة تُجنى، أو يمكن الوثوق بها لتربية النشء والأجيال الجديدة من الشباب.

لقد انحصرت في علماء المسلمين -لأكثر من ألف عام- مسؤولية الإنتاج، والتفسير، ونشر النصوص والمحتوى الإسلامي لجموع المسلمين في جميع أنحاء العالم، ولكن اليوم، فإن وسائل الإعلام الجديدة تُحَوِّل طبيعة المسؤولية الدينية والحقوق التفسيرية، إذ أن الفيسبوك، وتويتر، ويوتيوب، وغيرها من الأدوات التي لا حصر لها على الإنترنت، جعلت النشر وبث الأفكار متاحاً وسهلاً ورخيصاً، ووضعت وسائلُ الإعلام الجديدة أدواتٍ جاذبةً ومشجعة على حرية التعبير والخوض في قضايا الدين، في متناوَل مَن لديهم اتصال بالإنترنت، للتعبير عما يدور بخلدهم ونشر أفكارهم بحرية أكثر، وصار لأفكارهم تأثير ملحوظ يشكل تحدياً للكثير مما رسخ من مفاهيم العقيدة[1].

ونتيجة لذلك؛ يتعرض ملايين المسلمين من مستخدمي الإنترنت اليوم؛ إلى تنوُّع في الأفكار والآراء الفقهية عن الإسلام، قد لا تكون صحيحة، أو متطابقة مع المعتبر من أقوال العلماء الثقات؛ الأمر الذي يُحدث بلبلة، ويُولد انحرافات في الفهم والعقيدة.

لكن صوت الحكمة في عالمنا الإسلامي يتغلب دائماً على ما يواجه مجتمعاتنا من تحديات، وليس أدَلَّ على ذلك مما يقول به علماء العالم

(١) الإسلام في عصر الإعلام الجديد http: //www.arabnews.com/news/707681

الإسلامي وخطباؤه المعروفون من آراء ثاقبة ناصحة، وحجج واضحة مقنعة، ووصايا إرشادية ضابطة، ففي خطبة فضيلة إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة الشيخ الدكتور صالح بن حميد، التي ألقاها بالمسجد الحرام يوم الجمعة ٢٠ من فبراير ٢٠١٥م، أوصى باستخدام الإعلام الجديد في الخير والإصلاح والتقرب إلى الله، موضحاً أن شبكات المعلومات ومواقع التواصل الاجتماعي، وغرف المحادثات، والمدونات، والحسابات الشخصية، والمنتديات، لها آثارها الكبيرة وتأثيراتها البالغة على سلوك الناس وعاداتهم، وما أحدثته من التغيير الاجتماعي إيجاباً وسلباً ونفعاً وضراً، ووصَف الإعلامَ الجديد بأنه خطير تجاوَز الحدودَ الجغرافية، وتَواصل الناس فيه من جميع أصقاع الدنيا؛ وربط بين أجزاء العالم وغيَّر معالمه وتقاربت معه المسافات الزمانية والمكانية، وأصبح دورُه متعاظماً في حياة الأفراد والأسر والمجتمعات والشعوب، محدِثاً طفرات واسعة في عالم الاتصال، حيث يتم التواصل من خلاله مع الأقران وغير الأقران والمعارف وغير المعارف؛ داخلياً وخارجياً، يتبادلون الأسرار والمعلومات والثقافات، ويمارسون ما لا ينحصر من النشاطات والفعاليات؛ مع من يعرفون ومَن لايعرفون[1].

ولتبيان كيفية التعامل بفطنة مع وسائل الإعلام الجديدة، تطرَّق الشيخ صالح بن حميد إلى أهمية الإعلام الجديد وما فتحه من أفاق جديدة وواسعة يعبِّر بها المرء عن ذاته وشخصيته، ويتفاعل مع ما حوله من قضايا وأحداث بطرق مختلفة وأساليب متجددة قد لايدركها أو يستوعبها جيل الآباء والكبار،

(١) إمام المسجد الحرام يوصي باستخدام الإعلام الجديد في الخير والإصلاح والتقرب إلى الله، الجمعة ٢٠ من فبرائر ٢٠١٥م، واس - مكة المكرمة،

http: //www.alyaum.com/article/4048680

فهذه الوسائل قرَّبت البعيدَ، ومهَّدت الطرقَ أمام المبدعين، وسهَّلت نقْلَ المعلومات وبناء الأفكار وتطوير المهارات وصقل الملَكات وإثبات الذات وزرع الثقة في النفوس، ففيها تيسيرٌ للمعلومات، ينتقل فيها المتلقي من المتابعة إلى المشاركة الفاعلة في كل المواد والأدوات، كل ذلك يتم إذا كان هذا التعامل بوعي ونضج وحسن تدبير، وعدَّ فضيلته الإعلامَ الجديد وسيلةً لكل مسؤول ليفيد منها في معرفة جوانب القصور في مسؤوليته وإدارته، والتواصل مع ذوي العلاقة من موظفين ومراجعين ومحتاجين لمزيد من المراجعة والتطوير، واتخاذ الإجراءات الملائمة والقرارات الصائبة، على أن مافي هذه المدونات والمواقع والشبكات من معلومات ومحتويات؛ يبقى بحاجة إلى مزيد من التوثيق والتثبُّت، فالعلم الصحيح والمعلومات الصادقة تؤخذ من أهلها بعد دراسةٍ وأناة وحُسن معالجة[1]، وبمثل هذه الآراء الناصحة؛ يكون لتدخل العلماء دَورٌ فعال في ترشيد التعامل مع وسائل الإعلام الجديدة، وتوجيه الشباب وعامة الناس، إلى الكيفية التي ينبغي أن يحسنوا بها استخدامَهم، يؤسسوا بها علاقتهم التفاعلية مع هذه الوسائل، والمحاذير التي يجب أن ينتبهوا إليها خلال تصفحهم لما تَموج به الشبكة العنكبوتية من معلومات مقروءة ومسموعة ومشاهَدة.

(١) المصدر السابق.

الخاتمة

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [القلم: ٤-٥]، تأكيداً لمفهوم المعرفة وضروراتها، وباعتبارها الخصيصة التي بها يتميز البشر عن غيرهم من سائر المخلوقات، واستخدام تطبيقات وسائل الإعلام الجديدة والوسائط المستحدثة منها؛ كالإنترنت، وبرامج الكمبيوتر، والتلفزيون، والإذاعة، والهواتف المحمولة، وغيرها من التقنيات الرقمية، يُعد من مطلوبات المعرفة المتعلقة بقضايا الحياة المختلفة، لأنها أدوات فعّالة لنقل المعرفة، مما أحدث تغييرات أسهمت في تطوير معظم جوانب الحياة الإنسانية، فقد أسهمت التقنيات المعاصرة في جعل تناقل المعلومات أسهل حيث باتت تُنْشر دون قيد أو شرط.

وفي هذا السياق؛ جاء تطور تقنيات وسائل الإعلام الجديد لافتاً ومدهشاً، وربما مربكاً في كثير من الأحيان ولكثير من المجتمعات والجماعات، بما فيها المجتمعات المسلمة، فقد تجاوزت هذه التقنيات الحدود بمختلف مفاهيمها، وتخطت القيود بكل فروضها، وكأنها تفسح للأشخاص غير المسؤولين لوضع معلومات غير دقيقة عن الإسلام، الأمر الذي يربك عقولَ الناس، وهذا الموضوع يمكن أن يُنظر إليه من منظور سوء استعمال وسائل الإعلام من خلال عرض الدعاية غير اللائقة باسم الإسلام، في موضوعات شائكة؛ كالعقيدة والقدَر والإيمان، أو موضوعات عامة كالليبرالية، والراديكالية، والعلمانية، والتنوع، والتعددية.

بالإضافة إلى ما تقدم، لم تُمَكِّن السرعةُ التي تطورت بها وسائل الإعلام الجديدة، والطريقةُ التي اكتسحت بها الفضاء العام، فرصةً كافيةً لإجراء

تحليلات للآثار الرئيسة للتقنيات المستحدثة على جودة الحياة والمجتمع، ولم يتمكن القائمون على الأمر من تخطيط مشاريع موجهة تبحث عن قيمة المعلومات الرقمية، والآثار المترتبة على الفضاء الإلكتروني والافتراضي، وأثر وساطة الكمبيوتر على ممارسة الإنسان لأنماط حياته، ولم تبحث المؤسسات الإسلامية بما يكفي؛ مواقفَ الأيديولوجيات السياسية والثقافية الكبرى بشأن العلاقة بين وسائل الإعلام الجديدة والرسائل المبثوثة خلالها، وإسقاطاتها على نوعية القيم والموضوعات الأخلاقية المَرعية.

وبالمراجعة السريعة للحضور الإسلامي في فضاء الإعلام الجديد والفضاء الرقمي الافتراضي، نُلاحظ تفوق النشاط الدعوي الفردي للعلماء على نشاط المؤسسات الرسمية، وذلك على الرغم من تمتُّع الأخيرة بالخصائص والتسهيلات التي تزيد من علاقتها التفاعلية مع المستفيدين، وبمقومات مادية وبشرية أكبر تؤهلها للتفوق، إذ إن افتقار غالبية المواقع الرسمية إلى الثبات والاستمرارية، ومَيل معظمها إلى العزلة، وعدم التكامل، والخشية من الاندماج مع نظائرها من المواقع الدعوية الأخرى؛ يحرمها من التأثير والترشيد المطلوب، مما يستدعي تشجيع المواقع الإسلامية للتنسيق والتعاون والارتقاء بالوسائل التقنية، والعمل على إثراء البحث العلمي في مجال العلوم الإسلامية، خصوصًا وأن هناك تعطُّشًا للمعارف الدينية، والكثير من القضايا والأفكار التي ينبغي أن تُطرح في مواقع العلماء والمؤسسات الإسلامية.

إن دور المؤسسات الإسلامية وحضور العلماء في سائل الإعلام الجديدة؛ يُساعد على نشر الدعوة الإسلامية، إلا أنه يحتاج إلى كثير من الأفكار العلمية الصالحة للتطبيق، التي لا يمكن معرفتُها إلا من خلال الممارسة النشطة والفاعلة، والمعرفة الدقيقة بطبيعة الإنترنت واستخداماتها، والتقدير الصحيح

لحاجة العالم الإسلامي إليها، وحاجة الدعاة لتوصيل الدعوة الإسلامية للإنسانية، فالتقنية الرقمية نعمة إذا تربعت على عرشها المؤسسات الإسلامية، وشكَّل رؤيتَها العلماءُ واستثمرناها لنشر الفكر الإسلامي الصحيح، ونِقمة إذا سيطرت عليها الأيدولوجيات المنحرفة، والدعاية التجارية، واعتقلت اهتماماتِ شبابنا المواقعُ الفاضحة.

إن مستقبل نشر الفكر الإسلامي عبْر الفضاء الرقمي؛ مرهون بحضور المؤسسات الإسلامية والعلماء، مثلما هو خاضع لكثير من المتغيرات والتعقيدات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية، ليس على صعيد العالم الإسلامي فحسب؛ وإنما على صعيد العالم الذي أصبح بفعل وسائل الإعلام الجديدة قرية كونية معولمة، فقد يصعب على المرء الحديث عن رقعة جغرافية معينة مهما اتسعت أطرافُها، دون استصحاب التداخل الكبير الذي تشهده الإنسانية اليوم، وضيَّع معالم الزمان والمكان، ولم يَعُدْ للحدود والقيود القديمة أيُّ معنى.

وبهذا الفهم، يُمكن أن نفكر في البحث عن معالجات لدوائر مترابطة، ثلاثٌ منها تَدرس الآثارَ المزعومة لجودة الحياة والمجتمع من خلال التطورات الثلاثة في ثقافة وسائل الإعلام الجديدة التي رُسمت في وقت سابق؛ وهي الرقمنة، والمحاكاة الافتراضية، والوسيلة[1]، على أن يُلحق بها مشروعٌ رابع يَعْمِد إلى تحليل المواقف الحرجة في وسائل الإعلام الجديدة في سياق التقاليد الأيديولوجية الكبرى، وموقفها من المسلمين، وموقع الإسلام منها، في حين

(1) http: //ethicsandtechnology.eu/projects/evaluating_the_cultural_quality_of_ new _ media_towards_an_integrated_philosophy_of_human_media_relations /

يكون هدف المشروع الخامس: تطوير إطارٍ لجودة التحليلات السابقة نفسها، وإدماج نتائج المشاريع الملحقة الأربعة لترشيد نتاجاتها من حيث جودة تصميم المواقع، وبما يواكب التقنيات ذات الرؤية البصرية، وسهولة التصفح والتنقل مع توافر الخدمات التفاعلية، ومن حيث رصانة المحتوى والشمول والتنوع والمصداقية، وعبر جهود مشتركة للعلماء والمؤسسات الإسلامية.

ولابد من التأكيد على أن حضور المؤسسات الإسلامية والعلماء مطلوب لتثبيت الهوية الإسلامية للمواقع المختلفة، وترشيد استخدام وسائل الإعلام الجديدة، وإثراء الحوار عبر الفضاء الرقمي مع الشباب، باعتبار أن هذه عملية تكاملية بين كل العاملين في حقل الدعوة إلى الله، فالجميع هنا مَعنيون بالحديث عن دور هؤلاء جميعًا في نشر الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل، لهذا، لابد أن نعتمد على حضورهم في المواقع الإسلامية المعنية بهذا الفكر، التي تبتعد عن الترويج للخلافات المذهبية، وتفتح قنواتِ حوارٍ مع الآخر، وبِلغات مختلفة، وأن يتعزز التنسيقُ بين القائمين على المواقع الإسلامية العامة والمتخصصة، والحرصُ على تبادل المعلومات، وتكثيفُ نشر البحث العلمي والبحوث والدراسات الرصينة في علوم الدين، التي تَرُدُّ الشبهات وتبين عدالة وسماحة الإسلام.